

﴿إِنَّ الشَّرْكَ لِظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾

خالد بن ضحوي الظفيري

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،
مِنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِي لَهُ، وَأَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
وَأَشْهُدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ﴾.

عِبَادَ اللَّهِ:

اعْلَمُوا أَنَّ أَعْظَمَ مَا أَمْرَكُمُ اللَّهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ: ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا
اللَّهَ مُحْلِصِينَ لَهُ الدِّين﴾، وَأَعْظَمَ مَا كَاهَكُمْ عَنْهُ الشَّرْكُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ أَنْ يَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ
حَلْقَكُ، فَالشَّرْكُ بِاللَّهِ تَعَالَى أَعْظَمُ أَنْوَاعِ الظُّلْمِ: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لِظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، وَمَنْ مَاتَ عَلَيْهِ غَيْرُ
تَائِبٍ مِنْهُ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ حَالِدًا فِيهَا أَبَدًا: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ
اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾، وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ» [رَوَاهُ الْبُحَارِيُّ]
وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا
دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارِ»، وَهُوَ الذَّنْبُ الَّذِي مَنْ لَقِيَ اللَّهَ بِهِ لَا يَغْفِرُهُ لَهُ: ﴿إِنَّ
اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، وَهُوَ أَعْظَمُ التَّنَفُّصِ لِرَبِّ الْبَرِّيَّةِ وَمُسَاوَةُ
غَيْرِهِ بِهِ فِي الْأُلُوهِيَّةِ: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

وَلِعِظَمِ حُطُورَةِ هَذَا الذَّنْبِ، وَفُبْحِ عَاقِبَتِهِ وَعُقُوبَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؛ اتَّفَقَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
جَمِيعًا عَلَى النَّهْيِ عَنْهُ وَتَحْذِيرِ أَقْوَامِهِمْ مِنْهُ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا
اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾، فَهَذَا نُوحٌ وَهُودٌ وَصَالِحٌ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- قَالُوا جَمِيعًا لِأَقْوَامِهِمْ: ﴿يَا
قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، وَإِمَامُ الْمُوَحَّدِينَ إِبْرَاهِيمُ التَّلِيَّةُ كَانَ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ
وَذِرِيَّتِهِ مِنَ الشَّرْكِ فَقَدْ دَعَا رَبِّهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاجْنَبِنِي وَبْنِي أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ إِنَّنَا أَضَلَّنَا كَثِيرًا مِنَ
النَّاسِ﴾، وَعِيسَى التَّلِيَّةُ قَالَ لِرَبِّهِ مُتَبَرِّئًا مِنْ شَرِكِ قَوْمِهِ: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمْرَتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا
اللَّهَ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾، وَهَذَا نَبِيُّنَا ﷺ يَقُولُ لِقَوْمِهِ: ﴿قُلْ تَعَالَوا أَتْلُ مَا حَرَمَ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تَشْرِكُوا بِهِ

شيئاً)، وبين دعوته وإخلاصه، ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا سِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْحَاسِرِينَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْحَسِرَانُ الْمُبْيِنُ﴾، وسَارَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْأَمْرِ بِهِ، وَمُحَاذِيَةِ الشَّرِكِ وَالنَّهْيِ عَنْهُ كُلُّ مَنِ اتَّبَعَ الرَّسُولَ وَسَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ مِنَ الصَّالِحِينَ الْأَنْقِيَاءِ وَالْأَئِمَّةِ الْأُولَيَاءِ قَالَ تَعَالَى : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ اتَّبَعَهُمْ وَاقْتَنَى أَثْرَهُمْ فَوَحَدَ اللَّهُ وَأَخْلَصَ الدِّينَ لِمَوْلَاهُ.

عِبَادَ اللَّهِ :

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَحْدَهُ هُوَ الْمُسْتَحِقُ لِلْعِبَادَةِ فَمَنْ صَرَفَ أَيَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْواعِهَا الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ لِغَيْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَلَوْ كَانَ نَبِيًّا مُرْسَلًا أَوْ مَلَكًا مُقَرَّبًا فَقَدْ وَقَعَ فِي الشَّرِكِ بِاللَّهِ، فَلَا تَنْتَوِجُهُ بِالدُّعَاءِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، وَلَا تَسْتَغْيِثُ وَلَا تَسْتَعِيْثُ وَلَا تَطْلُبُ الْمَدَدَ وَالْحَاجَاتِ وَدَفْعَ الشَّرِّ وَالْكُرْبَاتِ إِلَّا مِنَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَحِيْبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ، وَلَا تَذْبَحُ وَتَنْذُرُ إِلَّا لِلَّهِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ، فَعَنْ عَلَيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَعْنَ اللَّهِ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ] ، وَلَا تَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ وَسَائِطًا نَدْعُوهُمْ وَنَسْأَلُهُمْ وَنَطْلُبُ مِنْهُمُ الشَّفَاعةَ كَمَا فَعَلَ كُفَّارُ قُرْيَاشٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى كُفَّرَهُمْ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ : ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْحَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُتَبَرَّوْنَا إِلَى اللَّهِ زُفْرَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ ، فَدُعَاوْنُ وَصَلَاثَتُنَا وَجَمِيعُ عِبَادَاتِنَا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهِهَا أَمْرَنَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمُحْيَايِي وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ . أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَعْفِرُ اللَّهِ الْعَظِيمِ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَعْفُرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَاحْبِهِ وَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ :

فَأُووصِيْكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ - وَنَقْسِيْ بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَمَنِ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ، وَنَصَرَهُ وَكَفَاهُ.

عِبَادَ اللَّهِ :

لَقَدْ سَدَّ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ أَبْوَابِ الشَّرِكِ وَالظُّرُقِ الْمُوَصَّلَةِ إِلَيْهِ حِمَايَةً لِجَنَابِ التَّوْحِيدِ
وَحِرْصًا عَلَى أُمَّتِهِ مِنْ سُلُوكِ سَبِيلِ الْمُشْرِكِينَ الْمَالِكِينَ، وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الشَّرِكِ بِاللَّهِ الَّتِي جَاءَ
النَّهَيُّ عَنْهَا: الْغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ، وَهُوَ السَّبَبُ الَّذِي أَوْقَعَ الْأُمَّمَ السَّابِقَةَ فِي الشَّرِكِ بِاللَّهِ تَعَالَى، بَلْ
مَا وَقَعَ الشَّرِكُ بِاللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بِسَبَبِ الْغُلُوِّ فِي الصَّالِحِينَ وَإِعْطَائِهِمْ بَعْضَ صِفَاتِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،
فَدَعَوْهُمْ وَالْتَّجَأُوا إِلَيْهِمْ وَسَأَلُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا وَقَعَ فِي قَوْمٍ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلِهَذَا قَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكمُ وَالْغُلُوُّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلُكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي
الدِّينِ» [رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا]، وَهُنَّا صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَغْلُو فِيهِ فَكَيْفَ بِغَيْرِهِ وَمَنْ هُوَ دُونَهُ؟ فَقَالَ: «لَا تُطْرُوْنِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى
ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» [رَوَاهُ الْبُحَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]
بَلْ هُنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آخِرِ حَيَاةِهِ أَنْ يَغْلُو أَحَدٌ فِي قَبْرِهِ فَيُجْعَلَ عِيدًا وَمَسْجِدًا كَمَا فَعَلَ
أَهْلُ الْكِتَابِ بِقُبُورِ أَنْبِيَائِهِمْ، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي مَرْضِيهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ: «لَعْنَ اللَّهِ الْيُهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ». قَالَتْ:
فَلَوْلَا ذَاكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ عِيرَ أَنَّهُ حُشِيَّ أَنْ يُتَحَدَّ مَسْجِدًا. [مُنْقَقُ عَلَيْهِ]، وَهَذَا بَيَانٌ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لِعَظِيمِ افْتِنَانِ النَّاسِ بِقُبُورِ الصَّالِحِينَ فَسَدَّ هَذَا الْبَابَ حِمَايَةً لِلتَّوْحِيدِ، وَصَوَّنَا لَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ
نَكْيَهُ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْمَقَابِرِ فَقَالَ: «وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ
مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ]، وَهُنَّ عَنِ الْبُنْيَانِ
عَلَيْهَا وَرَفِعُهَا كَمَا جَاءَ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «هَكَيْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ
يُحَصَّصَ الْقَبْرُ وَأَنْ يُعْنَدَ عَلَيْهِ وَأَنْ يُبَيَّنَ عَلَيْهِ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ طَرَائِقَ الشَّيَاطِينِ وَوَسَائِلَهُمْ لِصَرْفِكُمْ عَنِ التَّوْحِيدِ وَأَفْضَالِهِ، وَغَمْسِكُمْ فِي
مَهَاوِي الشَّرِكِ وَأَوْحَالِهِ، وَاجْتَهِدُوا فِي دُعَاءِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُبَيِّنَ فُلُوبَكُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ وَيُمْبَيِّنَكُمْ عَلَيْهِ.